مقدمة المؤلف

هذا الكتاب يعد خلاصة تجربة طويلة ممتدة منذ عهد الصبا إلى عهد الشيخوخة عشتها مع النصوص الشعبية قديمها وحديثها وعشتها مع حاملي التراث الشعبي منذ كنت طفلة أستمع إلى الغناء الشعبي والحكايات الشعبية سواء من جدتي التي أراها اليوم في ذاكرتي، راوية مثالية، وليتني سجلت منها ما كانت تحفظه من تراث شعبي تتقن روايته، أم سمعته من القرية التي كانت تنتمي إليها أمي وأسرتها قرية العزيزية الشرقية، التي كنت أنفى إليها، لحسن الحظ، تخلصاً من شقاوتي، ففي هذه القرية تعودت أن أعيش في حضن جدي وجدتي لأمي طيلة الأجازة الصيفية.

لا عجب أنني تعلقت بموروثنا الشعبي الذي ظللت أختزنه في نفسي منذ نعومة أظفاري.

ولما شاءت الظروف أن يكون التراث الشعبي مادة تخصصي ولما عشت ما عشت من عناية الشعوب العظيمة بموروثاتها أياً كان مصدرها، بحيث يصعب أن تجد الفرد في هذه الشعوب، على الرغم من انشغالها الدائب في العمل لتحقيق مزيد من التحضر والرقي، يصعب أن تجد الفرد الذي لا يتقن رقصة شعبية أو لا يعرف تراثه القصصي أو الملحمي، أو لا يردد أغانيه الشعبية المتوارثة. ولما عشت كل هذا انتهيت إلى أن الضمان الأول للحفاظ على بناء ثقافي شامخٍ وراسخٍ، هو

وقوفنا في ثبات على قاعدة موروثاتنا أياً كان مصدرها، جمعية كانت أم فردية.

وكان من الطبيعي أنني بعد أن تشعبت بي الطرق في دراسة الموروث الشعبي الأدبي، كثرت تساؤلاتي حول مصادره وبنائه وتحولاته وعلاقة الأنواع الأدبية المختلفة بعضها ببعض إلى غير ذلك من التساؤلات التي اجتهدت في أن أرد عليها في أبحاثي العديدة وترجماتي.

وبعد ذلك ظل السؤال يراودني كلما فرغت من البحث في موضوع من الموضوعات الأدبية وهو: ما هي الرؤية الكونية التي يصدر عنها هذا التنوع الهائل من مادة الموروث الشعبي شكلاً ومضموناً، إن الفرد المبدع مهما تكن عبقريته فإن إبداعه يكون معروفاً ومحدداً، أما الإبداع الشعبي فهو قديم ومستمر ومتنوع وقابل للتغيير. إنه يتكون من أشكال يصعب حصرها، ولكل شكل نظامه الإبداعي الذي يناسب الرسالة التي يبثها. ومن هنا بدأ التساؤل: وهل يمكن أن نزداد تغلغلاً في الفكر الشعبي علنا نصل إلى الرؤية الكونية التي تتجمع عندها كل تلك الخيوط والتي يبدو كل منها كأنه نسيج وحده، فالمثل غير اللغز وكلاهما يبدوان أنهما لا صلة لهما بالأغنية الشعبية أو الحكاية الشعبية أو السيرة الشعبية.

ولقد أردت أن أجيب عن هذا التساؤل، ولكن هل يمكن لأحد أن يصل الحقيقة الخفية كاملة؟ وحسبي أنها محاولة،

وحسبي أن تتاح الفرصة للقارئ لكي يعيش مع التراث الشعبي متشابكاً مع بعضه البعض.

ولعله يدلي بالمزيد من الأفكار، فيكون في ذلك مزيـــداً من الإثراء لتراثنا الشعبي الثري.

obeikandl.com